مستقبل الحرف التقليدية*
"حرفة الفخار نموذجا"

اعداد

هبة على بدرى عبد الحافظ

إشراف

أ.د. سعاد عثمان أ.د. فاتن أحمد على

مقدمة :

نشأت صناعة الفخار نشأة بدائية خالصة تكاد تكون مرتبطة بالجنس البشرى من حيث النشأة والتطور، فجاءت الحرفة في بداياتها الأولى شديدة البساطة من حيث أدوات التصنيع والأشكال الفخارية التى يتم إنتاجها، كما كان الغرض من الصناعة بالأساس هو الحصول علي أغراض نفعية مباشرة دون الاهتمام بجودة أوجمال الفخاريات المصنعة، ثم مع مرور الوقت وتعاقب العصور وتقدم أدوات وأساليب الإنتاج والتصنيع، وكذلك تطورنظرة الإنسان للأشياء وتعدد أغراضه منها وإستخداماته لها، تطورت صناعة الفخار وتحولت من مجرد حرفة يعمل بها عدد محدود من الناس إلي صناعة متسعة تستقطب الكثيرين، بل الأكثر من ذلك أن اهتم بها العلماء والفنانون وطوروا وابتكروا فيها إلي أن أصبحت علماً يستفاد منه وفناً للاستمتاع بجمالياته.

وقد عرفت مصر صناعة الفخار منذ وقت مبكر، ونشأت بها مع نشأة الحضارة الفرعونية، حيث تكاد لا تخلو مقبرة فرعونية تم اكتشافها من الحفائر الفخارية خصوصاً في مقابر الأشخاص منخفضى الرتبة والمكانة علي مر العصور الفرعونية الثلاثة في الدولة الأولى والوسطى والحديثة، وقد ساعد علي نشأة صناعة الفخار مبكراً في مصر الفرعونية، ومعرفة المصريين القدماء بها توافر المادة الخام الأساسية المستخدمة في هذه الصناعة والمتمثلة في الطين المتراكم على ضفاف النيل؛ و الذى كان يستخدم بالأساس في عمل القمائن وحرق الطوب اللبن، مما مهد وساعد علي معرفة صنع الفخار ثم تشكيله علي شكل آنية تستخدم لتقديم الطعام وجرارى لحفظ المياة وشربها. (ليلى كامل البهنساوى ، ٢٠٠٩ : ٨) .

ولم تتوقف صناعة الفخار في مصرعند العصور الفرعونية، وإنما استمرت وتطورت علي مر العصور اللاحقة اليونانية البطلمية ثم الرومانية والقبطية وصولاً إلي الفتح العربى آخذة في التأرجح بين هذه العهود نمواً وتراجعاً بحسب الاهتمامات السائدة سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية أو إنتاجية.(صفوت كمال، ٢٠٠٦ : ٢١).

وقد توسع فن الفخار علماً وصناعة توسعاً كبيراً في عصرنا هذا نظراً لتوسع وتقدم العلوم ذات العلاقة به، وتخصص الفنانين في ممارسته، واستخدمت التكنولوجيا في صناعته، ولكن بالرغم من ذلك فهناك بعض المجتمعات التى ظلت تمارس الحرفة دون تطوير في صناعة المنتجات الفخارية الموروثة عن الأجداد. (دوار. م . بيلينكتون ، ١٩٧٤ : ٣).

ولابد من الإشارة هنا إلي أن الصناعات الحرفية قد أصبحت في عمومها تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد القومى لكثير من الدول المتقدمة والنامية، وتشير التحليلات الاقتصادية والاجتماعية للتجارب العالمية إلي أن معظم الاقتصاديات التى اتخذت من الصناعات الحرفية ركيزة لها، قد حققت إنجازات هائلة خلال العقدين الأخيرين، وتحولت من بلاد مستهلكة إلى قوى منتجة وخلاقة، وذلك باللجوء إلى تلك الحرف التقليدية التى تتلاءم مع الزيادة السكانية وقلة الاستثمارات اللازمة لها،وذلك من خلال إستغلال الخامات المتاحة وابتكار أساليب تقنية جديدة تتلاءم مع وفرة الأيدى العاملة، وذلك لإنتاج سلع ومنتجات يحتاجها عموم المواطنين في حياتهم اليومية ويصدر الفائض منها إلي الخارج. (حامد الهادى ، ٢٠٠٦ : ٩٤).

مما سبق، يمتد تاريخ صناعة الفخار لآلاف السنين، وجاءت مصر في مقدمة الدول الشهيرة بهذه الصناعة، وتعتبر منطقة الفواخيربمصر القديمة أقدم مكان لهذه الصناعة فى مصر منذ دخول عمرو

بن العاص والفتح الإسلامى، كما أن سر الصنعة ينتقل من جيل إلى جيل ويرثه الأبناء عن الآباء والأجداد.**ولقد مرت صناعة الفخار بمراحل عديدة فى هذه المنطقة وتحولت معظم الورش من مرحلة العمل العشوائى** وذلك **حين** تم تطوير المنطقة بمنحة من الاتحاد الأوروبى خلال الفترة من **(٢٠٠٠/٢٠٠٤) ،ويرمز للمنطقة علي الخريطة بقطعة مصنعة من الفخارتسمى(الفسطاط).**
(http//:www.khzafiatelfostatt.arabblogs.com)

١- أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مستقبل الحرف التقليدية بالتركيز على حرفة الفخار فى ضوء التغيرات التى تواجه الحرفة والعاملين بها فى نطاق مشروعات التطوير والتنمية المقامة فى منطقة مصر القديمة.

٢- مجتمع البحث:

إنطلاقاً من أن مشكلة البحث تتبلورفي محاولة الكشف عن ملامح التغير التى لحقت بصناعة الفخار في مصر، فقد تطلب ذلك من الباحثة إختيار مجتمع تتجسد فيه هذه الصناعة في شكليها (التقليدى والحديث) حتى تستطيع إبراز هذه الملامح فقامت الباحثة بزيارة منطقة مصر القديمة حيث وجدت أن المنطقة تضم ثلاث مناطق تشتهر بصناعة الفخار هى :

١- منطقة بطن البقرة أوما يعرف بمنطقة الفواخير، وتحتوى على مجموعة من الورش، وتتخذ النمط التقليدي في التصنيع، وعددها قليل نظرا لأعمال التطوير التي تشهدها المنطقة خلال هذه الأيام.
٢- قرية الفخاريين، وهى تجمع للورش ويضم ٣٢ وحدة لورش الفخار منها وحدات تخص الحرفيين وأخرى تخص الأكاديميين، ويطبق على العمل في هذه الوحدات استخدام أحدث الأساليب التكنولوجية الحديثة في التصنيع.
٣- مركز الحرف التقليدية بالفسطاط ويتم فيه صناعة الفخار بأحدث الأدوات الكهربائية وهو عبارة عن ورش متكاملة من حيث الخامات والعدد والأدوات اللازمة للعمل والإنتاج.

٣- الاطار المنهجى للبحث :

اعتمد البحث الراهن علي المنهج الأنثروبولوجي بأدواته (المقابلة- والملاحظة- ودليل العمل الميداني- والتصوير الفوتوغرافى)، والمنهج الفولكلوري بأبعاده، والمنهج المقارن، والمنهج الإيكولوجي، ومنهج دراسة الحالة.

٤- حالات الدراسة :

من خلال الدراسة الميدانية تم حصر اعداد الورش المنتجه فى منطقة بطن البقرة التى تشمل حوالى (٢٢) ورشة تمت الدراسة داخل (١١) ورشة منها، وتم اختيار الورش بناءا على نوعية المنتجات التى تصنعها كل ورشة على حده، وهذه الورش كانت تغلب عليها الطابع التقليدى فى التصنيع، كما أجريت الدراسة الميدانية داخل قرية الفخاريين التى تتكون من ٣٢ وحده من بينها عدد (٤) ورش أو وحدات متخصصه فى إنتاج جميع أنواع المنتجات الفخارية، وكل وحده من هذه الوحدات يتميز إنتاجها بطابع خاص عن الوحدات الأخرى، وبجانب الوحدات الأربع يوجد عدد (٢) وحدة خاصة ببعض الفنانين والعمال الذين لا يستخدمون الدولاب فى إنتاجهم، وتشتهر وحداتهم بإنتاج التماثيل ومنتجات الجبس وذلك باستخدام فورم الجبس بأحجامها المختلفه. كما

يوجد أيضا عدد (٢) وحدة يطلق عليهما اسم درب ١٨/١٧ تهتم بتطوير الحرفة من خلال إقامة المعرض والمهرجانات، وبذلك تمت الدراسة الميدانية داخل ٨ وحدات منتجة داخل هذه القرية، إلى جانب دراسة مركز الحرف التقليدية بالفسطاط الذى يضم مكان مخصص لإنتاج الفخار(الخزف) ويمثل هذا المكان الطابع المطور في إنتاج جميع المنتجات ذات الطابع التراثى (المنتجات القديمة ذات الطابع الإسلامى) .

٥- الاطار النظرى للبحث :

فى إطار الاهتمام بدراسة حرفة الفخار، وجدت الباحثة أن هناك قضايا لبعض النظريات تخدم موضوع الدراسة، ومن بين هذه القضايا :

١- بعض قضايا الاتجاه الوظيفي (التناول الكلى أو الجزئي للنسق، والوظائف، والتغير)
٢- بعض قضايا التطور الثقافي الاجتماعي (الاستمرار، والابتكار، والانحسار الثقافي الاجتماعي)
٣- بعض قضايا إعادة الإنتاج (دور بعض الفئات والمهن، والتعليم ودوره، ووسائل الاتصال الجماهيري فى إعادة إنتاج التراث).

٦- الدراسات السابقة :

اهتمت تخصصات مختلفة بدراسة حرفة الفخار كتخصص التربية الفنية الذى يهتم بالجانب الفنى وتهدف أغلب الدراسات فيه إلى إجراء مجموعة من التجارب ومحاولة تدريب الطلاب على إجرائها وإيجاد الوسائل البديلة للخامات المستخدمة. وتخصص الفنون التطبيقية الذى يهدف إلى إجراء تجارب ومحاولة تقديم مجموعة من الحلول تزيد من تطوير الحرفة.وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسات نظراً إلى أنه قد تم إجرائها في منطقة البحث في محاولة للتعرف على نقاط اهتمام الباحثين، والكشف عن نقاط القصور فيها ومحاولة الاستفادة من أفكارهم وتطبيقاتهم فى الجانب الميداني.كما اتفقت نتائج هذا البحث- على سبيل المثال- مع نتائج دراسة إيمان مهران فى تنمية الحرف التقليدية، ودراسة إبراهيم حلمى لطرق التغلب على معوقات تطوير حرفة الفخار، ووجهة نظر الحرفيين فى التنبؤ بمستقبل حرفة الفخار.

وسوف يناقش هذا البحث ثلاث نقاط هى :

١- الصناعات الحرفية ودورها التنموى.
٢- دور المؤسسات والمنظمات المحلية والدولية فى تنمية وتطوير الحرف التقليدية.
٣- الرؤية المستقبليه لحرفة الفخار في ضوء مشروعات التنمية والتطوير بمنطقة مصر القديمة.
٤- التوصيات.

أولا :الصناعات الحرفية ودورها التنموى :

تحتل الصناعات الحرفية مكانة كبرى فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية،باعتبارها تشكل رافداً تنموياً أساسياً بما توفره من سلع وخدمات ذات صلة مباشرة بحياة أفراد المجتمع،وفى خلق فرص عمل مضمونة الدخل من خلال تشغيل رأس المال بطرق نشطة، وتحقيق أرباح كثيرة للدولة، فضلاً عن الدعاية والشهرة للبلاد. وتندرج الصناعات الحرفية تحت القطاعات الإنتاجية الاقتصادية،فعلاوة على دورها فى ترسيخ المحصلة الثقافية والحضارية ،فهى أيضا تمثل محوراً اقتصادياً مهماً، من خلال

مساهمتها فى مجال التوظيف والإنتاج والترويج الثقافى والحرفى التقليدى. (محمد ميرزا ،بدون تاريخ : ٢).

وغير أن الصناعات الحرفية – على مستوى دول العالم قاطبة – تمر بمرحلة حرجه،تتفاوت فى الشدة والضعف من دولة إلى أخرى،بسبب التطور التقنى الذى تعيشه معظم تلك الدول وانعدام الحاجة إلى الكثير من المنتجات التقليدية بعد تغير نمط الحياة العصرية ومستلزماتها ونتيجة لوفرة مثيلاتها المصنعه ميكانيكياً وباسعار منافسة، بل بأسعار متدنية كثيراً عما يمكن صنعه يدوياً. وهذا التغير أدى وبشكل واضح بالكثير من العاملين فى مجال الصناعات والحرف التقليدية إلى البحث عن سبل كسب تعود عليهم بما يحتاجون إليه من عوائد مالية أعلى ومكانة اجتماعية أفضل.(شريف محمد عوض،٢٠١١ : ٦).

وتنتشر حرفة الفخار فى العديد من البلاد العربية،وتندرج تحت الحرف التقليدية فتشغل سوريا عموماً ودمشق خصوصاً مكانة بارزة عالمياً فى عدة حرف منها الفخار، والخيزران، والحفر والنحت ونفس الشيء نجده فى عمان والمغرب فإن لها تاريخ قديم فى الاهتمام بتلك الحرف. وعندما تهددت الحرفة بالاندثار فكرت الحكومة المغربية فى الحفاظ عليها، فاتبعت نظام التعاونيات ،وخصصت لها منحاً وتبرعات مادية وعينية لتمكينها من الاستمرارية والوجود دون تعثر. ففى الفترة من ١٩٧٢- ١٩٧٧م خصصت الدولة فى خطتها الخمسية منحاً استفاد منها عدد كبير من الحرفيين خاصة الداخلين الجدد فى النشاط. وقد زاد الاهتمام بالصناعات الحرفية للدرجة التى جعلت الدولة تخصص شهراً فى السنة لهذه الصناعات وهو شهر ديسمبر من كل عام، تقام فيه معارض للمنتجات وتتشكل هذه المعارض داخل أقاليم الدولة، وتقام تحت إشراف وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الصناعة، كما تنظم ندوات ومؤتمرات يديرها متخصصون، تكون موضوعاتها الأساسية الاهتمام بدراسة مشكلات هذه الصناعات الحرفية وكيفية إعدادها لاستقبال العمالة الزائدة وتوفير فرص العمل.(أحمد حلمى عبد اللطيف ،١٩٩٤: ٢٩٠). وعلى غرار قرية الخزف والفخار بالمغرب يتم فى مصر تطوير مجتمع البحث بنفس النمط .

ولكن هناك مجموعة من العوامل أدت إلى تأخر الاهتمام بتنمية الصناعات الحرفية فى مصر بصفته قطاعاً اقتصادياً لسنوات كثيرة وهى كالآتى : (شريف محمد عوض،٢٠١١: ٧).

١- الاقتصار على التعامل مع هذا القطاع من وجهة نظر اجتماعية، جعلتمنه قطاعا لا يلزمه سوى بعض الدعم والمساعدة، دون الارتكاز على آية سياسة إنعاشيه أو تنموية، مما ضيع عليه طابعه الاقتصادى، وفوت على الحرفيين فرص التطور والمساهمة. وهذه النظره الاجتماعية تكرست وبرزت على مختلف المستويات، حتى الإعلامية منها.

٢- هناك من اعتبره مجرد مجال للتقليد والنقل، حتى أصبح مفهوم الصناعات الحرفية التقليدية يوازى فى ذاكرة معظم الناس كل ما هو قديم وعقيم وغير قابل للتطور.

٣- سياسة الاتكال على الدولة التى لازمت ذهن الصانع والحرفى التقليدى، وهو ما انعكس سلبا على هذا القطاع، حيث تقلصت فيه فرص المبادرة والخلق والانفتاح على المحيط الاقتصادى بمختلف أشكاله. فلم يكن يقاس عائد الصناعات الحرفية والتراثية بما تحققه من قيمة مالية واقتصادية.

٤- أن الصناعات الحرفية فى مصر لا تتمتع بميزة الجهود المنظمة رسميا للحفاظ على استمرارية واستدامة الحرفيين فى هذا العمل. فهذه الصناعات إذا استثمرت بشكل جيد يمكن أن تصبح فى المستقبل القريب مصدراً أساسياً للدخل القومى لمصر.

ثانياً: :دور المؤسسات والمنظمات المحلية والدولية فى تنمية وتطوير الحرف التقليدية :

تعد عملية تطوير وتنمية الحرف التقليدية ليست بجديدة على مصر، فقد سبق أن تم إنشاء تجمعات صناعية، تضم مجموعة من الورش والمنشآت الصناعية مثل تجمع الحرفيين فى مدينة السلام، كما أنشأت الدولة فى أوائل السبعينيات جهاز الصناعات الحرفية والتعاون الإنتاجى فى سنة ١٩٧٤م، كما تم إنشاء ثلاث تجمعات صناعية، منها تجمعات للصناعة الجلدية فى دمياط والقاهرة، ومجمع للصناعات الهندسية فى منطقة حلوان ـ وسرعان ما جاء فى الخطة الخمسية الرابعة (٩٨/٩٧- ٢٠٠٢/٢٠٠١) التأكيد على أهمية التوسع فى إقامة المشروعات الصغيرة صناعية وريفية لأصحاب المدخرات الصغيرة والعمل على تجميعهم فى مجتمعات صناعية وزراعية، تدعمها شركات أو تعاونيات، مما يؤدى إلى توسيع نطاق فرص العمل (خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعام ٢٠٠٠/٩٩، ١٩٩٩: ٢٤٥).

وكذلك أنشأت الدولة الصندوق الاجتماعى للتنمية فى ١٩٩١م كإحدى الآليات الأساسية لمعالجة مشكلات فائض العمالة فى القطاع العام وبطالة الشباب، وتوفير فرص عمل بشكل عام للفئات منخفضة الدخل. كما تقوم مجموعة من البنوك التجارية بتقديم القروض للمنشآت الصغيرة بآجال قصيرة، وأيضا الجمعيات التعاونية الحرفية- التى يشكلها الحرفيون، وتهدف إلى مساعدة أعضائها فى الحصول على الخامات ومستلزمات الإنتاج، وتسويق منتجاتهم، ويشرف عليها الاتحاد التعاونى الإنتاجى المركزى هذا بالإضافة إلى الجهود التى تقوم بها المنظمات الأهلية غير الحكومية لتنمية الصناعات الحرفية الصغيرة، والتى من أهمها : جمعية رجال الأعمال بالإسكندرية والجمعية المصرية لمساعدة صغار الصناع والحرفيين، وجمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية فى مصر. (حامد الهادى ،٢٠٠٦ : ١١٨: ١١٩) .

وهناك مجموعة من المنظمات الدولية والإقليمية – كالمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، والمنظمة الإسلامية (الإسيسكو)، والمنظمة العربية (الالكسو) اهتمت بهذه الصناعات والحرف تعبيراً عن الاهتمام العالمى المتزايد بها. وقد حددت أهميتها المعاصرة عبر أربعة أبعاد أساسية : (شريف محمد عوض،٢٠١١ : ٧).

١- البعد التاريخى: باعتبارها محصلة التفاعل التاريخى للحضارات والأقوام التى استوطنت البلاد عبر التاريخ السحيق .
٢- البعد الثقافى: باعتبارها انعكاساً للمكون الثقافى والروحى والحضارى للشعب بمختلف مؤثراته .
٣- البعد الاجتماعى: باعتبارها مهناً متوارثة تتجاوز عمل الفرد إلى الأسرة ذكوراً وإناثاً .
٤- البعد الاقتصادى: حيث تعد بعض الحرف مصدراً للدخل لدى المجتمعات القروية والصحراوية. وتوفر فرصاً لراغبى العمل فى هذا القطاع .كما يمكن أن تحقق عوائد وقيمة مضافة عالية إذا ما تم ربطها بالقطاع السياحى والترويج لها من خلاله .

وفى ضوء هذه الأبعاد التى تعكس أهمية الصناعات الحرفية، تعددت الإشكالات والرؤى فى منهجية التعامل مع هذه الصناعات (شريف محمد عوض،٢٠١١ : ٧).

الأولى: تنظر إليها من منظور تراثى تقليدى يدعو إلى عدم المساس بها، والمحافظة على أنماطها السائدة بصورتها البدائية.

الثانية : تدعو إلى إدماجها فى بوتقة الصناعات الحديثة وإهمال ما لا يندمج حتى يندثر تلقائياً.
الثالثة : يحاول أن يوفق بين الرأيين السابقين، ويدعو إلى التعامل معها كتراث يجب المحافظة عليه، وكصناعة توفر وظائف من خلال التشغيل والتسويق، وأن تخضع لقوانين التطور وفقاً لمتطلبات السوق.

وفى مجتمع البحث يتم تطوير صناعة الفخار حيث قامت الحكومة بتطوير المنطقة وتجميع الحرفة داخل منشآت ذات طراز إسلامى مميز وذلك بهدف الحفاظ على الحرفة وحمايتها من الاندثار.

ثالثاً :الرؤية المستقبليه لحرفة الفخار في ضوء مشروعات التنمية والتطوير بمنطقة مصر القديمة:

تعددت آراء الباحثين والمهتمين بدراسة الحرف التقليدية حول حاضر ومستقبل الحرف التقليدية فى مصر، حيث رأى أحمد كمال صفوت الألفى إن الحرف تنشأ لتلبية متطلبات الناس فى المجتمع، وتندثر مع تطور المجتمع، أو تراجع طلب أفراده عليها، ويرى أن الحرف تراجعت أمام الثورة الصناعية، بينما استطاعت بعض الحرف مقاومة الانحسار مثل حرفة السجاد اليدوى،والكليم، والحصر،والفخار،والخشب، وصناعة الزجاج المعشق، والأوانى المعدنية المشغولة والمطروقة.(سامية دياب ،١٩٩٦: ١٢٩)

وأكد عز الدين نجيب على أهمية إحياء الحرف التقليدية وأن ذلك ضرورى لانها تدخل فى نسيج التكوين الوجدانى والذوقى للشعب المصرى بكل طبقاته، ويقدم عدة اقتراحات منها بصفة عاجلة تدعيم مراكز الحرفيين الموجوده فعلا، وتشجيع إقامة الورش الخاصة والمشروعات الأهلية الصغيرة، أما الاقتراح المفضل فهو إقامة مدينة الحرفيين فى القاهرة قريباً من منابع هذه الحرف.(سامية دياب ، ١٩٩٦ : ١٣٠).

ورأى هانى إبراهيم جابر أن التخطيط لمستقبل الحرف التقليدية فى مصر،عملية إنسانية وقومية بالدرجة الأولى عملية تستهدف النظر إلى مستقبل الإبداع فى الأمة وأثره على الأجيال المتعاقبة، وهى عملية شاقة ومهمة لأنها تتصل بالعنصر الإنسانى مباشرة وملكاته الإبداعية والإنتاجية وأنشطته اليدوية وكما أن لها دلالتها الخاصة وتتزايد أهميتها تبعاً لتعقد المشاكل الثقافية الناجمة عن التعارض بين الثقافة الجديدة والثقافة التقليدية.كما نبه إلى أهمية وجود مراحل لتخطيط مستقبل الحرف بشكل عام باعتبارها نسقاً كلياً يتضمن داخله أنساقا فرعية وتعتبر حرفة الفخار نسقا فرعيا داخل النسق الكلى للحرف التقليدية وتشمل هذه المراحل :

١- التخطيط التعليمى الحرفى التقليدى فى مجال الفنون الشعبية .
٢- التخطيط الثقافى فى مجال الإنتاج الثقافى والحرفى .
٣- التخطيط الإعلامى لنشر الوعى بأهمية تلك الحرف ، وعرض تجارب الآخرين فى هذا المجال.
٤- التخطيط السياحى لوضع خطة تسويقية على أعلى مستوى من المسئولية والفهم الاقتصادى لها.
٥- التخطيط الاجتماعى للحرف التقليدية حيث أن هناك ترابطا شديدا بين مستقبل هذه الحرف والتنمية الاجتماعية، وعلى الاخص عندما تستهدف تنمية شاملة لها وللحرفيين

وحين نرفع المستوى الثقافى والتعليمى والمستوى المعيشى فإننا نعمل فى الوقت ذاته على تحقيق مستوى أفضل للتخطيط العام. (هانى إبراهيم جابر ، ١٩٨٨: ٢٥٤:٢٥٥).

وقد كشفت الدراسة الميدانية أن واقع مجتمع البحث وقيام مشروعات التطوير والتنمية به قد أثر على الحرفه وعلى تنبؤات العاملين حول وضع الحرفه فى المستقبل، وتتنوع الآراء نتيجة لظروف الحرفى وأوضاعه الماديه ومدى حبه للمهنه وتصوره لها فى المستقبل، وظروف المجتمع والبيئة التى أثرت فى المهنه. حيث تنوعت هذه الآراء ما بين نظرة ترى أن إمكانية تطوير وتحسين الحرفة سوف يعود بالإيجاب على الحرفة إذا توفرت مجموعة من الشروط، وأخرى ترى أن هناك معوقات وصعوبات تواجه العاملين بالحرفة نتيجة لعملية تطوير وتنمية الحرفة فى مجتمع البحث، ويرجع ذلك التباين فى وجهات النظر لظروف الحرفى وفيما يلى عرضاً لهذه الآراء.

الرأى الأول: يرى أصحاب هذا الرأى أن مستقبل الحرفة سوف يصبح أفضل إذا توفرت مجموعة من المساعدات من قبل الحكومة ومنها :

١- فتح أسواق داخليه يستطيع الحرفى من خلالها أن يسوق منتجاته، وفتح باب التصدير وتسهيل إجراءاته **ويؤكد على ذلك أحد الإخباريين (م.ع) "أن الحرفة هتكون كويسه لو فتحوا التصدير والحكومة ساعدتنا فى التسويق لأن فى الدول الأوروبية عندهم شغل الالآت ومفتقدين الشغل اليدوى ، وفى جماعة من هولندا جت للمنطقة وقعدوا أكثر من شهر من أجل التعرف على الشغل اليدوى". ويقول أحد الإخباريين (ع.د) "احنا متفائلين بعد مشروعات التطوير لأن المنطقة منطقة أثرية".**

وتتفق هذه النقطة مع أحد مراحل التخطيط لمستقبل وتنمية الحرف الذى أشار إليها هانى جابر وهو بند التخطيط السياحى لوضع خطة تسويقية على أعلى مستوى من المسئولية والفهم الاقتصادى لها.

٢- مساعدة الحكومه فى تقديم الدعم لتجهيزات الوحدات بالخدمات والمرافق، ويروا أن الحرفه سوف تصبح متطوره حيث أنه سوف يتم العمل والتصنيع داخل مكان ثابت غير معرض للهدم ونظيف وخالى من التلوث الناتج عن عملية الحرق التى تحدث الآن، ويروا أن المكان سوف يصبح مزارا سياحيا، **ويرى الإخبارى (ع.د) "احنا هنشتغل فى مكان نظيف غير معرض للهدم لاننا كنا ومازلنا بنشتغل فى أماكن معرضة للهدم والسقوط فى أى وقت، واحنا عاوزين ايه غير الاستقرار فالحكومه هتوفر لينا مكان كويس نشتغل فيه فإنشاء الله الحرفه هتزدهر وهتبقه زى الفل لان فى ناس بتشتغل فيها بجد وبحب وهيبقه صعب انهم يتخلوا عن الحرفة مهما حصل".**
ويشير لذلك الإخباري(أ.إ) "أن الحكومة وفرت لينا افران تعمل بالكيروسين والغاز وهذا منع عملية التلوث الناتج عن طرق الحرق التقليدية وهو الحرق بالكاوتش والخشب والقش فهذا افضل شىء اتوجد فى عملية تطوير الحرفة".
كما يرى الإخباري (س.ا) "أن الحرفه هتطور وناس هتشتغل ومكان نظيف وخامات كويسه والطلب هيزيد وهيبقه مزار سياحى وزخرفى وفنى وهيجمع بين الاثنين العمل وعرض المنتج وهيطور نفسه وهتيجى ناس أجانب كتيره لزيارتنا".

كما أكد الإخباري (ر.ا) "لو الحكومة تساعدنا وتسهل لنا دخول المرافق باسعار مناسبة او بالتقسيط لاننا احنا مكناش بنشتغل من فترة كبيرة بسبب النقل والهدم اللى حصل لينا".

وهذا البند يمثل أحد مراحل التخطيط لمستقبل وتنمية الحرف الذى أشار إليه هانى جابر وهو التخطيط الاجتماعى للحرفة .

٣- تقوم الجهات المختصه (المدارس ومراكز التدريب) بتدريب بعض الشباب الراغبين فى العمل بالحرفة حتى تتوافر الأيدى العامله، أيضا القيام بعقد دورات تدريبيه للعمال وذلك من أجل تطوير منتجاتهم كما حدث فى مركز الحرف التقليدية بقيام مدرسة الأمير تشارلز بتعليم الحرفيين والفنيين طرق جديده فى التصنيع والزخرفه **ويقول الإخباري (أ.ا) "المفروض وجود دورات تدريبية للعمال وذلك من أجل النهضة ومقومتنا فى الشغل هى العمالة".**

وتؤكد أقوال العاملين بالحرفة تطور وازدهار الحرفه فى المستقبل حيث **يرى الإخباري (ر.م) "إن المكان الجديد هيفرض علينا اننا نستغنى عن الخامة السوده ويجعلنا نستخدم الطينه الاسوانلى فى الإنتاج وهذا يجعل منتجاتنا ذات جودة عالية ونستطيع أن نبتكر ونجدد فى التصميمات وترحمنا من الشغل بالطينه السوده اللى خلت كل الناس تشتغل فى الفخار"**

ويؤكد الإخباري (م.ع) "إن التطوير اتعودنا عليه واحنا بنتطور من نفسنا منذ نقلنا من عند جامع عمرو بن العاص اى منذ أكثر من ١٠-١٢ سنه فاحنا تطورنا فى التصميمات ونوعية المنتجات ومسمياتها وقمنا بإعادة إنتاج منتجات باشكال اخرى واستخدامها لاغراض أخرى (كقلة السبوع) واصبحت الآن تنتج لتؤدى غرض الزينه وايضا(قاصيرى الزرع) أصبح الأن يطلق عليها (كاشبوهات)، فاحنا بنطور نفسنا عشان نواكب حركة البيع والشراء ونقدر نشتغل فالحكومه بتطورنا دلوقتى فعشان كده انا متفائل أن الحرفة هتزدهر وهتتطور بإذن الله".

وهذا البند يمثل أحد مراحل التخطيط الذى أشار إليه هانى جابر وهو التخطيط التعليمى والثقافى فى مجال الحرفة وتتفق عليه أقوال الإخباريين .

وتوصلت الباحثة من خلال اتفاق بعض أقوال الإخباريين إلى قابلية العاملين للتطوير فى مراحل العملية الإنتاجية داخل الحرفة وتفائلهم بمستقبل زاهر للحرفة. وهنا يتضح لنا دور بعض الفئات فى محاولة الحفاظ على المهنة ومحاولة مقاومتهم للمشاكل التى تحدث داخل المهنة وذلك من أجل الحفاظ على الحرفة وحمايتها من الانحسار والاندثار وقيامهم بإعادة إنتاج منتجات الحرفة ومواكبة التغير.

أما الرأى الثانى : يرى أن هناك معوقات وصعوبات تواجه العاملين بالحرفة نتيجة لعملية التطوير والتنمية فى الحرفه وأكد على ذلك شريف محمد عوض فى بحثه عن "الصناعات الحرفية طريقة للتنمية المستدامة" على وجود مجموعه من المعوقات والصعوبات التى تعوق

عملية تنمية الحرف التقليدية وتتمثل تلك المعوقات فى الآتى : (شريف محمد عوض،٢٠١١ : ٢١).

١- عدم الاهتمام بتكوين كوادر جديدة لهذه الصناعات إلا فى حدود أفراد الأسرة (توارث الحرفة).
٢- الارتفاع المستمر فى أسعار الخامات، ومن ثم اتجاه التجار المصنعين لاستخدام خامات رخيصة وقد تكون غير صالحة لتصنيعها تتأثر بالأحوال المناخية.
٣- ضعف الاقبال من جانب الصبيه على الانخراط فى هذه الصناعات، نتيجة ضعف الأجور فى بداية التحاقهم نسبياً، بالإضافة إلى ظروف التشغيل التى عادة لا يراعى فيها متطلبات سلامة العامل.
٤- الافتقار إلى وجود البيئة الملائمة لممارسة الصناع لعملهم، فالأماكن غير مناسبة ولا يوجد للعمال حقوق مكتسبة خاصة ما يتعلق بالتأمين الاجتماعى.
٥- تراخيص التشغيل، حيث يستغرق الحصول على تلك التراخيص وقتا طويلاً نسبياً، ويرتبط توزيع الخامات بحصول تلك الصناعات على التراخيص اللازمة، وهو ما يجد فيه أصحاب تلك الصناعات صعوبة.

وللتغلب على تلك المعوقات، يجب الإيمان أولاً بأهمية تلك الصناعات فى التنمية، باعتبارها آلية من آليات النمو فى أى مجتمع، وهو ما يؤدى بعد ذلك إلى التخلص من تلك المشكلات، وحيث يجب تسهيل الإجراءات المتعلقة بالتراخيص، وكذلك يجب إمداده بكافة الخدمات اللازمة، وذلك لمساعدته على النمو، ولا يتم التقدم والازدهار لتلك الصناعات، إلا من خلال الاهتمام بتحديث وتطوير وسائل الإنتاج والعمل على زيادة الكفاءات المدربة.(شريف محمد عوض،٢٠١١ : ٢٢: ٢٣).

وتجد الباحثة أن هذه المعوقات التى تعوق الحرف التقليدية بشكل عام تعوق أيضا حرفة الفخار بمجتمع البحث باعتبارها إحدى الحرف التقليدية فقد توصلت الدراسة الميدانية من خلال المقابلات إلى أن هناك مجموعة من الإخباريين يروا أن الحرفه سوف تختفى لوجود مجموعة من الصعوبات التى تشهدها الحرفه وهى كالآتى:

١- إرتفاع أسعار المواد الخام **حيث يقول الإخبارى(ص.أ) "احنا مش هنقدر ندخل الطينه السوده المنطقة وهذا يتطلب اننا نستخدم الطينة الاسوانلى وهى غالية فهتبقه الشغلانه مش جايبه همها فهذا يتطلب مننا اننا نرفع اسعار بيع المنتجات فمين هيشترى الحاجه الغاليه غير الاجانب ودلوقتى السياحه واقفه فاحنا نسيب الشغلانه احسن".**

٢- عدم توافر الأيدى العامله التى ترغب بالعمل فى الحرفه حيث **يقول الإخباري (خ.ا) "دلوقتى محدش عاوز يجى يشتغل ويتعلم المهنه والمهنه بتنقرض وحتى أنا مش عاوز اجيب اولادى يتعلموا المهنه عشان ميتعبوش ويقاسوا زى ما حصل فيا فبقول لابنى روح اشتغل اى شغلانه تانيه مضمونه، اما لو كانت الشغلانه زى زمان كنت اجيب اولادى واعلمهم اما دلوقتى اخاف اجبهم وابهدلهم معايا كفاية أنا".**

ويؤكد الإخبارى (خ.ا) "الحرفة لها مستقبل كويس ولكن الخوف مفيش عمالة متوفرة".

ويشير الإخبارى (ر.م) "لو الحكومة قدمت يد المساعدة للناس أكيد هيكون أحسن وإذا لم تقم بذلك الصنعه هتموت، لان الوحدات الجديدة لا يوجد فيها عمالة كافية وذلك بسبب رفع دخل الصانع من ١٠ ج يوميا إلى أن اصبح الآن ٧٠-٨٠ ج يوميا، ويرى أن هناك انهيار كامل بسبب تسرب العمالة، وأن معظم الأماكن سوف تستلمها أشخاص ليسوا من أهل المهنة، وأن المكان غير مهيأ للعمل نظراً لضيق المساحات .
ويرى أحد الإخباريين (أ.ع) "أن الحرفة بتحتضر حيث لا يوجد أحد بيتعلم، ولا يوجد أطفال تدخل فى المهنه لان لابد من تعليم المهنه فى الطفولة".

٣- تأثير الأوضاع السياسية والأمنية بعد ثورة ٢٥ يناير على حركة السياحة وعلى الاقبال على المنتجات الفخارية من قبل القرى السياحية والسائحين. **حيث يقول الإخبارى (أ.ع) "احنا مش عارفين نسوق منتجاتنا وكمان الحكومه مقيده علينا تسهيلات التصدير، وايضا منذ ثورة ٢٥ يناير لما حصلت فأثرت اكتر على التسويق والتصدير والسياحه حيث أن اصحاب القرى والفنادق السياحيه كانوا بيجوا يشتروا مننا عشان يجهزوا الفنادق عشان السياح لما يجوا، دلوقتى السياحه واقفه فهما هيوضبوا الفنادق لمين فمبقاش حد يجى يشترى فالعملية وقفت وايضا التصدير وقف بسبب الثورة واحنا تعبنا فننتج ليه".**
ويشير الاخباري (أ.ذ) " انا بقالى سنتين مش بنتج اى منتج انتج لمين وأنا المنتجات عندى أد كده فانا اوفر الكهربا والعمالة لحد ما ابيع منتجاتى الموجوده فى الورشه .
يقول الإخباري (س.ا) " الشغل والتسويق مش زى الأول وفى تجار جمله وصناع خايفين من الخسارة وقفلوا واحنا بنشتغل على قد الطلب ".

٤- كذلك أصبحت المنتجات الفخارية تمثل وظيفه جماليه بعد أن كان لها وظائفها النفعية التى لا يستطيع أغلب الناس الاستغناء عنها فى استعمالات الحياة اليوميه **حيث يقول الإخباري (ص.أ) " شغلنا أصبح شغل كماليات وايضا المُصدرين بيشتكوا من الضرائب والنقل ولو فتحنا باب التصدير هتكتر العمالة والإنتاج هيزيد فبالتالى العمالة هتزيد عشان هيكون فى ربح ومكسب".**
ويرى الإخبارى (ع،د) " أن الحكومة اول ما تفوق مش هتلاقى صناع الفخار فى المنطقة ، وأن الشغل فى النازل ومن ساعة ما أصبحت كماليات وليست منتجات نفعية وبدئت تختفى ".

٥- بالإضافة إلى ذلك أن صغر حجم الورش داخل وحدات المشروعات سوف يؤدى إلى تحجيم حجم الإنتاج نظرا لضيق حجم الوحدات مقارنة بحجم الورش الآن **حيث يقول الإخباري (ع.ا) " أن المساحات الجديدة ضيقه لا تصلح للإنتاج وأن الوحده المبنية دلوقتى تصلح أن تكون مكان للنحت والعرض وليس للإنتاج ، ويرى أن أقل مكان الآن ينتج منتجات أكبر مكان فى الوحدات الجديدة ".**

ويرى الإخباري (أ.ع) " أن المهنه ممكن تختفى لو أهملنا المكان وفى ناس ممكن تبيع الوحدات اللى هتستلمها وتمشى طالما مفيش تسويق ومفيش حركة بيع وشراء ".

كما أضاف الإخباري (ر.م) "أن مشروعات التنمية هى اللى بوظت المهنة والمهنة كانت شغالة والحكومة اعترضت على اسلوب الحرق وليس شكل المبانى فليه نكلف نفسنا ، وبسبب بناء هذه المشروعات هناك عمال كثيرة تركت المهنة واشتغلت بأعمال أخرى ، والمشروعات المقامة سوف تجعل الصناع يعملون فى مساحات صغيرة عكس الآن حيث داخل الوحدات الجديدة لا يوجد أماكن للتنشير والتجفيف وإذا وجد العامل وطلب منه كميات للتصدير فلا يوجد مكان كافى يستوعب الشغل ففى الحالة ديه هيعمل ايه وهذه مأساة ".

وترى الباحثة أنه نتيجة للصعوبات التى واجهت بعض العاملين بالحرفة أصبح البعض يتشائمون من مستقبل الحرفة ويتنبؤن بأنها تتراجع فى مقابل الفئة الأخرى التى ترى أن الحرفة سوف تشهد إزدهاراً فى المستقبل.

ومن خلال قراءة التراث النظرى فى الموضوع إلى جانب الدراسة الميدانية واستطلاع آراء العاملين اتضح أن نسبة العاملين الذين يتنبؤن بمستقبل زاهر للحرفة أكثر من نسبة الآراء التى ترى أن الحرفة سوف تندثر فى المستقبل، وهو ما يدعم إمكانية تنمية وتطوير حرفة الفخار فى المستقبل والنظر إليها باعتبارها قطاعاً اقتصادياً له أهميته كمصدر أساسى للدخل القومى، على أن تتبنى الحكومة هذه الرؤية، وتعمل على تنمية الحرفة من خلال التخطيط لتنميتها، واتخاذ خطوات إجرائية فى فتح أسواق جديدة – داخلية وخارجية- وتقديم الدعم للوحدات الموجودة وتجهيزها ومدها بالخدمات والمرافق العامة، مع رفع كفاءة العاملين بالحرفة من خلال عقد الدورات التدريبية، كما تتطلب تنمية الحرفة- على الجانب الآخر- تخلى العاملين فى حرفة الفخار على سياسة الاتكال على ما تقدمه الحكومة، وتنمية قدراتهم الحرفية، والإبداعية، وذلك بالاطلاع على كل ما هو جديد فى الحرفة، ونقله إلى الأجيال التالية من الحرفيين.

رابعاً: التوصيات :

١- الاهتمام بتطوير وتنمية الحرف التقليدية لما لها من أهمية كبرى فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٢- تدخل الدولة فى متابعة الحرفيين والحرف التقليدية بشكل عام وحل مشكلات العمل ،والمحافظه علي تلك الحرف من الانحسار والاندثار.
٣- فتح مدراس متخصصة تهتم بتعليم وتدريب الشباب والفتيات على الحرف التقليدية بهدف الحفاظ على استمرار دور الحرف التقليدية فى المجتمع .

٤- متابعة الحكومة لمشروعات التطوير والتنمية فى منطقة مصر القديمة ومحاولة إيجاد حل للمشاكل التى تواجه العاملين بالحرفة فى هذه المنطقة وسرعة إنجاز العمل فى المشروعات وتسليم الوحدات للعاملين خوفا من تركهم للمهنة واندثارها .

المراجع :

١- أحمد حلمى عبد الطيف :الصناعات الصغيرة ،وآثرها على مشكلة البطالة فى مصر ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،جامعة القاهرة ،١٩٩٤.

٢- حامد الهادي ،الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال ،مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ،مطبوعات كلية الآداب – جامعة القاهرة،الطبعة الأولي ،٢٠٠٦.

٣- دوار .م. بيلينكون ،فن الفخار صناعة وعلماً ، ترجمة عدنان خالد ،أحمد شوكت ،منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ،١٩٧٤.

٤- سامية دياب ،حاضر ومستقبل الحرف التقليدية ، مجلة الفنون الشعبية ،العدد ٥٣ – أكتوبر:ديسمبر ١٩٩٦.

٥- شريف محمد عوض ،الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة ،مجلة الفنون الشعبية ،العدد ٨٩ – يونيو ٢٠١١.

٦- صفوت كمال ،جماليات الحرف التقليدية ،مجلة الفنون الشعبية ،العد ٦٩/٦٨ ،(يناير – فبراير – مارس)،٢٠٠٦.

٧- ليلى كامل البهنساوي ،السياق الاجتماعي وتنمية المشروعات الصغيرة "دراسة حالة لمنطقة بطن البقرة "، منشور في المجلة العربية لعلم الاجتماع،العدد الثالث ،يناير ٢٠٠٩

٨- محمد الجوهري ،"دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية " ،علم الفولكلور- الجزء الأول ،دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٨.

٩- محمد ميرزا عاشور ،واقع الصاعات التقليدية والحرفية فى مملكة البحرين ،بدون تاريخ .

١٠- هانى ابراهيم جابر ،الفنون الشعبية بين الواقع والمستقبل ،الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٨٨.

المواقع الالكترونية :

1-http//:www.khzafiatelfostatt.arabblogs.com